مظاهر الشيخوخة والتكيف الاجتماعي لدى المسنين في السياق الليبي: تحليل مقارن بين البيئتين الحضرية والريفية

محمد المهدي عمر الحجاجي
جامعة طرابلس، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع
m.alhgagi@uot.edu.ly

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أوضاع المسنين في المجتمع الليبي في ظل التحولات الاجتماعية المعاصرة، من خلال المقارنة بين المسنين في البيئتين الريفية والحضرية. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، باستخدام استمارة استبيان ومقابلات ميدانية على عينة عمدية مكونة من (100) مسن من الذكور تتراوح أعمارهم بين (70–80) سنة، موزعين بالتساوي بين الريف والحضر. ركزت الدراسة على العلاقات الأسرية، والتفاعل الاجتماعي، والدعم الاجتماعي، والرضا عن الحياة. أظهرت النتائج وجود فروق واضحة بين البيئتين، حيث يتمتع المسنون في الريف بدرجة أعلى من التماسك الأسري والتفاعل الاجتماعي، بينما يعاني المسنون في الحضر من مظاهر العزلة الاجتماعية وتراجع المكانة الاجتماعية بعد التقاعد. كما بينت النتائج أن التحولات الاقتصادية والقيمية أسهمت في إعادة تشكيل أدوار المسنين داخل الأسرة والمجتمع. وتوصي الدراسة بتطوير سياسات اجتماعية وصحية تراعي خصوصية البيئة الريفية والحضرية.

الكلمات المفتاحية: الشيخوخة، التكيف الاجتماعي، المسنون، المجتمع الليبي، الريف والحضر.

ABSTRACT

This study aims to analyze the conditions of elderly people in Libyan society in light of contemporary social transformations, through a comparison between rural and urban settings. The study employed a descriptive-analytical and comparative approach using questionnaires and field interviews conducted with a purposive sample of 100 elderly males aged between 70 and 80 years, equally distributed between rural and urban areas. The research focused on family relationships, social interaction, social support, and life satisfaction. The findings revealed clear differences between the two settings. Elderly people in rural areas showed stronger family cohesion and higher levels of social interaction, while elderly individuals in urban areas experienced greater social isolation and a decline in social status after retirement. The study also found that economic and cultural transformations have reshaped the roles of the elderly within family and society. The study recommends developing social and health policies that consider rural-urban differences.

Keywords: Aging, Social Adaptation, Elderly, Libyan Society, Rural and Urban Area

مقدمة

تشهد المجتمعات العربية في العقود الأخيرة، ومنها المجتمع الليبي، تحولات بنيوية عميقة مست مختلف الأنساق الاجتماعية، وعلى رأسها نسق الأسرة. فقد أسهمت عمليات التحديث والتحضر في إعادة تشكيل البناء الأسري، حيث برز اتجاه متزايد نحو الأسرة النووية على حساب تراجع أنماط الأسرة الممتدة، خاصة في البيئات الحضرية. ولم تكن هذه التحولات مجرد تغيرات شكلية، بل حملت في طياتها انعكاسات عميقة على طبيعة العلاقات الاجتماعية وأدوار الأفراد داخل الأسرة.

وفي هذا السياق، تبرز فئة المسنين بوصفها من أكثر الفئات تأثرًا بهذه التحولات، نظرًا لاعتمادها التقليدي على شبكات الدعم الأسري الممتد. فمع تراجع هذا النمط من التضامن الأسري، باتت أوضاع المسنين تتسم بدرجة متفاوتة من الهشاشة الاجتماعية، خصوصًا في ظل ضعف البدائل المؤسسية للرعاية الاجتماعية. ويثير هذا الواقع تساؤلات جوهرية حول طبيعة التغير في أنماط الرعاية، ومدى قدرة الأسرة الحديثة على الاستجابة لاحتياجات كبار السن. كما أن التباين بين البيئتين الريفية والحضرية يضفي بعدًا تحليليًا مهمًا، إذ لا تزال بعض مظاهر التماسك الأسري والتكافل الاجتماعي أكثر حضورًا في الريف مقارنة بالحضر، حيث تسود أنماط من الفردانية وتراجع التفاعل الاجتماعي. ومن هنا، تكتسب دراسة الوضع الاجتماعي للمسنين في كلا البيئتين أهمية خاصة لفهم طبيعة الفروق القائمة، والكشف عن آليات التكيف التي يعتمدها المسنون في مواجهة هذه التحولات.

وعليه، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل مظاهر الشيخوخة والتكيف الاجتماعي لدى المسنين في السياق الليبي، من خلال مقاربة مقارنة بين البيئتين الريفية والحضرية، بهدف الكشف عن طبيعة الفروق الاجتماعية المرتبطة بالتفاعل الأسري والدعم الاجتماعي والرضا عن الحياة، وتحليل انعكاسات التحولات الاجتماعية المعاصرة على مكانة المسنين وأدوارهم داخل الأسرة والمجتمع، بما يسهم في تقديم فهم سوسيولوجي أعمق لقضايا الشيخوخة في المجتمع الليبي، ويدعم الجهود الرامية إلى تطوير سياسات اجتماعية أكثر استجابة لاحتياجات كبار السن وتحسين جودة حياتهم.

أولاً: تحديد موضوع البحث وأهميته وأهدافه، والاطار المفاهيمي

تحديد موضوع البحث

شهد المجتمع الليبي خلال العقود الأخيرة تحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية متسارعة أثرت بصورة واضحة في طبيعة البناء الاجتماعي والعلاقات الأسرية، خاصة مع اتساع مظاهر التحضر والهجرة الداخلية وتراجع أنماط الأسرة الممتدة لصالح الأسرة النووية. وقد انعكست هذه التحولات على مختلف الفئات الاجتماعية، إلا أن تأثيرها بدا أكثر وضوحًا على فئة المسنين باعتبارهم من أكثر الفئات ارتباطًا بالبناء الأسري التقليدي وشبكات الدعم الاجتماعي القائمة على القرابة والتكافل الاجتماعي.

وتشير الأدبيات السوسيولوجية إلى أن مكانة المسنين وأدوارهم الاجتماعية تتحدد بدرجة كبيرة بطبيعة البناء الاجتماعي والثقافي السائد داخل المجتمع، حيث يحتفظ المسنون في المجتمعات التقليدية والريفية بمكانة اجتماعية قائمة على الاحترام والمشاركة في اتخاذ القرار ونقل الخبرات والقيم عبر الأجيال، في حين تتراجع هذه المكانة نسبيًا في المجتمعات الحضرية الحديثة نتيجة التغيرات القيمية واتساع النزعة الفردية وضعف الروابط الاجتماعية (دعبس، 1991؛ بركات، 2011).

كما أن التحولات البنيوية المرتبطة بالتحديث والتحضر أدت إلى إعادة تشكيل وظائف الأسرة وأنماط الرعاية الاجتماعية، وهو ما انعكس على طبيعة التفاعل الاجتماعي للمسنين ومستوى اندماجهم داخل الأسرة والمجتمع، خاصة بعد التقاعد أو تراجع القدرة على أداء الأدوار الاجتماعية التقليدية. وقد أكدت العديد من الدراسات أن ضعف العلاقات الأسرية وتراجع التفاعل الاجتماعي قد يؤديان إلى شعور المسنين بالعزلة الاجتماعية وانخفاض مستوى الرضا عن الحياة، خصوصًا في البيئات الحضرية التي تتسم بضعف العلاقات الأولية مقارنة بالمجتمعات الريفية (حجازي، 1999؛ عبد اللطيف، 2018).

وفي المقابل، لا تزال بعض البيئات الريفية تحتفظ بدرجة من التماسك الاجتماعي والتضامن الأسري الذي يسهم في استمرار اندماج المسنين داخل البناء الاجتماعي، ويعزز من قدرتهم على التكيف مع مرحلة الشيخوخة، من خلال استمرار مشاركتهم في الحياة اليومية والعلاقات القرابية والأنشطة الاجتماعية

المختلفة (الخشاب، 2002؛ العمر، 2021). إلا أن هذه البيئات بدورها لم تعد بمنأى عن تأثيرات التغير الاجتماعي والهجرة والتحولات الاقتصادية، الأمر الذي يثير تساؤلات حول مدى استمرار الأدوار التقليدية للمسنين داخل المجتمع الليبي المعاصر.

وعلى الرغم من تزايد الاهتمام العالمي والعربي بقضايا الشيخوخة، فإن الدراسات الليبية التي تناولت أوضاع المسنين من منظور سوسيولوجي مقارن ما تزال محدودة، خاصة فيما يتعلق بتحليل الفروق بين البيئتين الريفية والحضرية، والكشف عن أثر التحولات الاجتماعية المعاصرة على أنماط التكيف الاجتماعي ومستوى التفاعل الأسري والدعم الاجتماعي لدى كبار السن.

وانطلاقًا من ذلك، تتمثل إشكالية الدراسة في محاولة الكشف عن طبيعة أوضاع المسنين في المجتمع الليبي في ظل التحولات البنيوية المعاصرة، وتحليل أثر البيئة الاجتماعية في تشكيل أنماط التكيف الاجتماعي لديهم، من خلال المقارنة بين المسنين المقيمين في البيئتين الريفية والحضرية، وذلك للكشف عن طبيعة الفروق المرتبطة بالعلاقات الأسرية، والتفاعل الاجتماعي، ومستوى الدعم الاجتماعي، والرضا عن الحياة، ومدى تأثير التحولات الاجتماعية والاقتصادية في إعادة تشكيل مكانة المسنين وأدوارهم داخل الأسرة والمجتمع.

أهمية الدراسة ومبرراتها:

تم اختيار هذا الموضوع لعدة أسباب، منها:

1. وجود تغيرات في القيم الاجتماعية تجاه المسنين، مما يستدعي دراستها لضمان حياة كريمة لهم.
2. ضعف قدرة بعض المسنين على الحفاظ على علاقاتهم الاجتماعية نتيجة التحولات الثقافية.
3. ندرة الدراسات حول المسنين مقارنة بالفئات الأخرى. والحاجة إلى دراسات ميدانية أوسع لتعزيز المعرفة العلمية في مجال الشيخوخة.
4. إمكانية التنبؤ بالمشكلات الاجتماعية من خلال دراسة أوضاعهم.
5. تزايد نسبة كبار السن نتيجة التحول الديموغرافي.

6. ارتباط الدراسة باهتمام الباحث العلمي.

أهداف الدراسة:

1. بيان العلاقة بين البيئة الاجتماعية والجغرافية وأثرها على الوضع الاجتماعي للمسنين.
2. التعرف على تأثير التغيرات الاجتماعية في الريف والحضر على التوافق الاجتماعي.
3. دراسة أنماط التفاعل الاجتماعي وعلاقتها بالرضا عن الحياة.
4. تحديد الخصائص المميزة للمسنين في الريف والحضر.
5. إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين المجموعتين.

تساؤلات الدراسة:

1. هل يختلف الوضع الاجتماعي بين المسنين في الريف والحضر؟
2. هل تؤدي التغيرات الاجتماعية إلى مشكلات لدى المسنين؟
3. هل يؤثر التفاعل الاجتماعي على الرضا عن الحياة؟
4. هل تختلف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بين البيئتين؟
5. ما أوجه التشابه والاختلاف بين المسنين في الريف والحضر؟

مصطلحات ومفاهيم الدراسة:

رأى الباحث أنه من الضروري تعريف المفاهيم والمصطلحات الآتية في هذه الدراسة وهي:

1- الوضع الاجتماعي:

يعرف الوضع الاجتماعي بأنه المكانة التي يشغلها الفرد داخل البناء الاجتماعي، وما يرتبط بها من أدوار وسلوكيات (الجوهري، 2010).

التعريف الإجرائي: هو طبيعة الحياة اليومية للمسن داخل الأسرة والمجتمع من حيث التفاعل والاحترام وإشباع الحاجات.

2- المسنون: يعرف المسنون ديموغرافياً بأنهم الأفراد ذوي الأعمار من (60) سنة فأكثر، واستعمل العرب كلمة (المسنين) للدلالة على الرجل الكبير مع اختلاف في تحديد سن معينة بين الجنسين حيث نجد بعض الدول تربط دخول فئة المسنين بسن التقاعد عن العمل وبعض الدول تحدد سن 60 سنة والبعض 62 سنة ودول أخرى تحدد سن التقاعد بسن 65 سنة للرجال وسن 62 للنساء (الجدعان، 1998).

التعريف الإجرائي: نقصد بالمسنين في هذه الدراسة الرجال ممن بلغ سن 70 إلى 80 سنة ويعيشون مع أسرهم.

3- **الأسرة النواتية**: الأسرة جماعة من الأفراد يربطهم الزواج والدم مقيمين في بيت واحد ويتفاعلون سويًا ولكلٍّ دوره المحدد كالأب والأم والأبناء مكونين ثقافة مشتركة. وهي وحدة أساسية من بناء المجتمع.(الجوهري، 2010).

التعريف الإجرائي الأسرة النواتية هي الأسرة المكونة من الزوج والزوجة والأطفال مع وجود الجد ويقيمون في مجتمع حضري في نطاق المدينة.

4- **الأسرة الممتدة**: هي الأسرة التي تضم عدة أجيال في وحدة واحدة، وهي الأسرة التي تتكون من الزوج والزوجة والأبناء الصغار والكبار المتزوجين مع وجود الجد والحدة يقيمون في بيت واحد أو بيوت متجاورة. وتربطهم روابط اجتماعية قوية وغالباً ما يكون الجد مصدر السلطة الاجتماعية والاقتصادية يقدره الجميع ويحترم أوامره".(الخشاب، 2002).

التعريف الإجرائي: الأسرة الممتدة هي الأسرة المكونة من الزوج والزوجة والجد والحدة والأبناء المتزوجين في بيت واحد أو بيوت متجاورة تربطهم علاقات اجتماعية قوية وهناك تعاون مشترك في الأعمال اليومية والموسمية.

5- **الشيخوخة**: الشيخوخة هي المتغيرات الطبيعية المستمرة والتدريجية التي تطرأ على جسد الإنسان اعتبارا من بدايات البلوغ في وظائف الجسم بالتراجع مع بدايات منتصف العمر من خمسون سنة، ولا

يوجد سن محدد يمكن اعتباره من الدخول في مرحلة الشيخوخة ولكن المتعارف عليه أن سن 60 عام هو العمر الذي يشير إلى بداية الشيخوخة. وتعرف الشيخوخة من الناحية الديموغرافية بأنها "الزيادة المطردة في نسبة كبار السن في المجتمع والتي تسير نحو الزيادة لتكون في قاعدة الهرم السكاني" (العمر، 2021).

التعريف الاجرائي: يرى الباحث بان الشيخوخة هي: ظاهرة اجتماعية تمس قطاع كبير من السكان كنتيجة طبيعية مع تقدم العمر يصبح على أساسها جزء كبير من السكان ضمن فئة المسنين وسوف يصل إليها كل إنسان إذا أطال الله في عمره وهي التغيرات التدريجية التي تطرأ على الإنسان مع التقدم في العمر.

6- **البيئة الريفية**: البيئة الريفية هي مجتمع صغير قائم على الزراعة والتكافل الاجتماعي والمجتمع الريفي هو عبارة عن مجموعة متجانسة من الناس تعيش في بقعة واحدة من الأرض يربطهم بالماضي تاريخ طويل وبالحاضر مصالح مشتركة وأهداف واحدة ويشدهم إلى المستقبل آمال وآلام واحدة.

التعريف الإجرائي يقصد الباحث بالمجتمع الريفي المجتمع القائم على تربية الحيوانات الداجنة والزراعة الموسمية والذي يرتبط سكانه بروابط القرابة وتربطهم علاقات اجتماعية قوية، وغالباً ما يكونون مكتفين ذاتياً ولهم مصير مشترك يشتركون في أفراحهم واحزانهم، وقد حدد الباحث منطقه بئر الجلدة الواقعة بين بئر الشرفة من الشمال والرقيعات من الجنوب والمرازيق من الشرق وأولاد تليس من الغرب.

7- **البيئة الحضرية**: هي بيئة تتسم بالكثافة السكانية والتخصص المهني والعلاقات الرسمية ويشير مصطلح الحضارة بصفة عامة إلى ثقافة معقدة إلى حد كبير في مقابل الثقافة البسيطة نسبياً وهي أيضاً درجة من تقدم تتميز بنمو الفنون والعلوم والحياة السياسية وكلما تقدم الإنسان في استخدام الوسائل التكنولوجية نتج عنه وصف المجتمع الذي يعيش فيه بأنه مجتمع متحضر.

وتوصف البيئة الحضارية بزيادة التجمعات السكانية وزيادة في عدد السكان ويصبح لكل مجموعة منهم مهنة مدنية في الغالب يمارسونها باستعمال وسائل وأدوات تكنولوجية وازدياد الطرق الحديثة والجسور والمباني الصحية والتعليمية والتجارية وتزداد درجة مشاركة الأفراد في الحياة الاقتصادية والسياسية خصوصاً مع انتشار وسائل الاتصال".(ضو، 2010).

التعريف الإجرائي للبيئة الحضرية:

هي البيئة التي تقع في محيط المدينة، عدد السكان كبير، المباني أكثر من الأراضي الفضاء، المساكن حديثة أسواق تجارية كبيرة في مختلف الأنشطة الاقتصادية، أغلب السكان يعملون بالدولة، العلاقات الاجتماعية محدودة بصلة القرابة أو الجوار، في الغالب المصالح متعارضة، والتعاون في حدود المصالح المشتركة، وقد حدد الباحث منطقة أحمد المرغني كبيئة حضارية اختار منها 50 مسن ممن تقع أعمارهم من 70 سنة إلى 80 سنة حدود هذه المنطقة من الشمال طريق عرادة ومن الجنوب الفرناج وزناته ومن الشرق الحشان والرخصة وأولاد الحاج ومن الغرب الهاني وجامع الصقع وتعتبر هذه المنطقة من ضمن النطاق الجغرافي سوق الجمعة– طرابلس.

ثانيًا: الدراسات السابقة

1. دراسة نجاة محمد سليمان (2008) بعض مظاهر التغير في البناء الأسري وعلاقته برعاية المسنين

في إطار هذه الدراسة، سعت الباحثة إلى تحقيق هدف رئيس يتمثل في فهم التحولات التي طرأت على الأسرة في المجتمع الليبي، وانعكاساتها على أوضاع المسنين داخل البناء الأسري والمجتمعي. وقد تفرع عن هذا الهدف الرئيسي مجموعة من الأهداف الفرعية، تمثلت في التعرف على مظاهر التغير البنائي والوظيفي الذي أصاب الأسرة، بالإضافة إلى تحليل طبيعة التغيرات الداخلية في النسق الأسري ومدى تأثيرها المباشر وغير المباشر على أنماط رعاية المسنين داخل الأسرة.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم تطبيقها ميدانيًا على عينة شملت جميع نزلاء دار الوفاء لرعاية المسنين من الجنسين، وذلك بهدف الحصول على صورة واقعية عن طبيعة التحولات الاجتماعية وانعكاساتها على هذه الفئة داخل إطار مؤسسي للرعاية.

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن أغلب أفراد مجتمع البحث يتفقون على أن الأسرة قد شهدت تغيرات واضحة في بنيتها ووظائفها، وقد انعكس ذلك بصورة سلبية على أوضاع المسنين، خاصة فيما يتعلق بدرجة الرعاية والدعم الأسري. كما بينت النتائج أن هناك إدراكًا عامًا لدى المبحوثين بأن التحولات التي مست العادات والتقاليد الاجتماعية كان لها أثر مباشر في إعادة تشكيل أنماط الرعاية الأسرية للمسنين،

في ظل ما يشهده المجتمع من تطور سريع في مختلف المجالات، لا سيما الاقتصادية منها، وهو ما أدى في المقابل إلى حدوث فراغ اجتماعي ملحوظ داخل البناء الأسري.

كما كشفت النتائج أن تسارع التغير في العلاقات بين أفراد الأسرة، وما صاحبه من تحولات في تركيبها الاجتماعي وتراجع في درجة التماسك الداخلي، قد انعكس على منظومة القيم والأخلاق والعادات والتقاليد، وأدى إلى بروز بعض السلوكيات الاجتماعية السلبية مثل الأنانية وتراجع روح التضامن الأسري، الأمر الذي أسهم في إضعاف الروابط الأسرية التقليدية، وكان لذلك أثر مباشر على أوضاع المسنين ومستوى الرعاية المقدمة لهم داخل الأسرة والمجتمع.

2. دراسة مفتاح ميلاد الهديف (2017) بعض مشكلات الشيخوخة بمنطقة الخمس

تناولت دراسة الهديف (2017) موضوع الشيخوخة من منظور تحليلي يهدف إلى الكشف عن أبرز المشكلات والصعوبات التي تواجه كبار السن في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والصحية والنفسية والبدنية. وانطلقت الدراسة من محاولة فهم طبيعة التحولات التي تصاحب التقدم في العمر، وانعكاساتها على حياة المسنين داخل المجتمع المحلي.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الشيخوخة ترتبط بمجموعة من المشكلات المتداخلة التي لا يمكن فصلها عن بعضها، حيث أظهرت النتائج وجود مشكلات فسيولوجية وبيولوجية ناتجة عن الضعف التدريجي في البنية الجسدية ووظائف الجسم، وهو ما ينعكس على قدرة المسن على القيام بأدواره اليومية بشكل طبيعي. كما بينت النتائج وجود مشكلات نفسية وانفعالية لدى المسنين، من أبرزها القلق والاكتئاب والملل، والتي تمثل تحولات نفسية مصاحبة لهذه المرحلة العمرية وتؤثر على استقرارهم النفسي.

وفي الجانب الاجتماعي، أوضحت الدراسة أن من أهم المشكلات التي يعاني منها كبار السن تقلص العلاقات الاجتماعية وضعف التفاعل مع الآخرين، مما يؤدي إلى شعورهم بالاغتراب الاجتماعي، ويرتبط ذلك بشكل أساسي بفقدان الأدوار الاجتماعية التقليدية مثل رعاية الأبناء والمشاركة الفاعلة داخل الأسرة. أما في الجانب الاقتصادي، فقد كشفت النتائج عن معاناة المسنين من نقص الدخل وانخفاض مستوى المعيشة، إلى جانب عدم القدرة على الاستمرار في العمل بصورة ملائمة، وهو ما يزيد من حدة اعتمادهم على الآخرين ويضعف قدرتهم على تلبية احتياجاتهم الأساسية.

3. دراسة محمد يسرى دعبس (1991) أوضاع المسنين في الثقافات المختلفة، دراسة انتروبولوجية مقارنة: دراسة ميدانية في نجع بنى سلامة بوادي النطرون وقرية كفر بهيدة بمحافظة الدقهلية .

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي إلى جانب المنهج المقارن، وذلك بهدف فهم أوضاع المسنين في سياقات اجتماعية وثقافية متعددة، مع توظيف أدوات ميدانية متنوعة شملت الملاحظة المباشرة، والمقابلة، ودليل العمل الميداني بمحافظة الدقهلية،

وقد سعت الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف تمثلت في التعرف على طبيعة الحياة الاجتماعية للمسنين داخل مختلف الطبقات المهنية، وما يرتبط بذلك من اختلاف في الأدوار الاجتماعية التي يؤديها المسنون باختلاف السياقات المجتمعية،

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج المهمة، أبرزها وجود تباين واضح في طبيعة الحياة الاجتماعية للمسنين باختلاف الثقافات والأنماط المجتمعية، حيث تتسم المجتمعات البدوية بدرجة أعلى من التفاعل الاجتماعي بين المسنين والفئات العمرية الأخرى، بينما يتراجع هذا التفاعل تدريجيًا في المجتمعات القروية، ويصبح أكثر محدودية في المجتمعات الحضرية. كما بينت النتائج أن أنساق البناء الاجتماعي المختلفة، مثل النسق القرابي والديني والاقتصادي والسياسي، تلعب دورًا مهمًا في عمليات الضبط الاجتماعي، وأن دور المسنين في هذه العملية يكون أكثر وضوحًا وقوة في المجتمعات البدوية والقروية، خاصة في إطار الأسرة الممتدة، بينما يضعف هذا الدور في البيئة الحضرية.

وأظهرت النتائج كذلك أن المسنين في المجتمع البدوي لا يفصلون بشكل واضح بين العمل ووقت الفراغ، حيث تظل أنشطتهم اليومية متداخلة ومستمرة، على عكس ما هو الحال في المجتمع القروي والحضري حيث يظهر الفصل بين المجالين بشكل أوضح.

وفي السياق ذاته، كشفت النتائج عن قوة التواصل والتفاعل بين الأجيال في المجتمع البدوي، حيث لا تزال الروابط بين المسنين والشباب قوية وفعالة، بينما تظهر فجوة واضحة في هذا التفاعل داخل المجتمع الحضري، وتكون هذه الفجوة أقل حدة في المجتمع القروي، مما يعكس أثر التحضر في إعادة تشكيل العلاقات بين الأجيال وتقليص دور المسنين داخل البنية الاجتماعية الحديثة.

4. دراسة عزت حجازي (1999) المسنون في الريف المصري، دراسة سوسيولوجية مقارنة عن أوضاع المسنين في ثلاثة مناطق ريفية في قرية مصرية. (دراسة ميدانية في قرية إحطاب- مركز آجا- محافظة الدهقلية)

هدفت هذه الدراسة إلى رصد الحالة الاجتماعية للمسنين في قرية مصرية تشمل جميع الأفراد الذين تبلغ أعمارهم 60 سنة فأكثر، وذلك بهدف تقديم صورة شاملة عن أوضاعهم في السياق الريفي. وقد تفرع عن هذا الهدف العام مجموعة من الأهداف الفرعية التي تناولت الخصائص الديموغرافية مثل النوع والعمر والتعليم، والأوضاع الأسرية من حيث الحالة الزواجية ودور المسن داخل الأسرة وأنماط الإعالة، إضافة إلى دراسة الحالة المهنية، والأوضاع الاقتصادية بما يشمل مصادر الدخل والملكية الزراعية والسكن والمعاشات ودعم الأبناء. وقد اعتمدت الدراسة على منهج المسح الاجتماعي الشامل، بعينة طبقية عشوائية بلغت 657 مسنًا من الذكور والإناث، باستخدام أربع استمارات استبيان خُصصت لتغطية محاور الدراسة المختلفة.

وأظهرت النتائج أن الإناث يمثلن النسبة الأكبر في الفئات العمرية المتقدمة، خاصة بعد سن الثمانين، مع تزايد الوفيات بين الذكور. كما تبين أن 65.6٪ من المسنين يعيشون في أسر ممتدة، مقابل نسب أقل في الأسر الصغيرة أو العيش الفردي. وفيما يخص الحالة الزواجية، برزت فروق واضحة بين الجنسين في معدلات الترمل والبقاء في الزواج. كما كشفت النتائج أن أغلب المسنين لديهم مصادر دخل متعددة ويعتمدون نسبيًا على أنفسهم، بينما تعتمد نسبة أقل على المعاشات أو دعم الأبناء، وهو ما يعكس تباينًا في مستويات الاستقلال الاقتصادي داخل العينة.

تحليل الدراسات السابقة وعلاقتها بالدراسة الحالية

يتبين من استعراض الدراسات السابقة أنها تناولت موضوع الشيخوخة من زوايا متعددة، شملت الأبعاد الاجتماعية والصحية والاقتصادية والنفسية، مع تركيز ملحوظ على قضايا الرعاية الأسرية والمؤسسية، وأنماط التكيف الاجتماعي، ومشكلات العزلة لدى المسنين. كما أظهرت هذه الدراسات، سواء في السياق العربي أو المقارن، وجود إجماع عام على أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية، خصوصًا المرتبطة

بالتحديث والتحضر، قد أسهمت في إعادة تشكيل مكانة المسنين داخل البناء الاجتماعي، وأثرت على طبيعة العلاقات الأسرية ومستويات الدعم الاجتماعي.

إلا أن هذه الدراسات، على الرغم من قيمتها العلمية، تكشف عن مجموعة من المحددات، حيث يلاحظ أن أغلب الدراسات السابقة ركزت على فئة المسنين في سياقات وطنية أخرى (مثل مصر والسعودية)، مع محدودية واضحة في الدراسات التي تناولت المجتمع الليبي بشكل مباشر، وهو ما يخلق فجوة معرفية تتعلق بخصوصية السياق الليبي وتحولاته البنيوية. كما ركزت بعض الدراسات على جانب واحد من حياة المسنين، مثل الجانب الصحي أو الاقتصادي أو الرعاية المؤسسية، في حين أن القليل منها اعتمد مقاربة شمولية تجمع بين الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والصحية في تحليل متكامل. كما تميزت معظم الدراسات السابقة بطابع وصفي أو مؤسسي، مع محدودية في توظيف المنهج المقارن بين البيئات الاجتماعية المختلفة، خاصة بين الريف والحضر، وهو ما يعد أحد المداخل التحليلية الأساسية في هذه الدراسة.

عليه تأتي الدراسة الحالية لتسد جزءًا من هذا الفراغ البحثي من خلال التركيز على المجتمع الليبي تحديدًا، واعتماد منهج مقارن بين البيئتين الريفية والحضرية، مع تحليل متعدد الأبعاد يشمل العلاقات الأسرية، والدعم الاجتماعي، ومستوى الرضا عن الحياة، وآليات التكيف الاجتماعي لدى المسنين. وبذلك لا تقتصر أهمية هذه الدراسة على الوصف أو الرصد، بل تمتد إلى الإسهام في بناء تفسير سوسيولوجي أكثر تكاملاً لظاهرة الشيخوخة، يأخذ بعين الاعتبار خصوصية البيئة الليبية وتعدد أنماطها الاجتماعية بين الريف والحضر.

ثالثا: الإطار النظري وادبيات الدراسة

يتطلب فهم ظاهرة الشيخوخة في المجتمع الليبي توظيف عدد من النظريات الاجتماعية التي تفسر التغيرات المرتبطة بمكانة المسنين وأدوارهم داخل المجتمع. ومن أبرز هذه النظريات، نظرية التحديث التي ترى أن التحولات من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث تؤدي إلى تراجع مكانة المسنين نتيجة تغير القيم المرتبطة بالإنتاجية والكفاءة (بركات، 2011).

كما تبرز نظرية الدور الاجتماعي في تفسير التغير الذي يطرأ على مكانة المسن بعد خروجه من سوق العمل، حيث يفقد العديد من أدواره الاجتماعية، مما يؤثر على اندماجه داخل الأسرة والمجتمع (الجوهري، 2010). ومن جهة أخرى، تؤكد نظرية الاستمرارية أن المسنين الذين يحافظون على أنماط حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية السابقة يكونون أكثر قدرة على التكيف مع مرحلة الشيخوخة، وهو ما يظهر بشكل واضح في المجتمعات الريفية (عبد اللطيف، 2018).

في حين تفسر نظرية التفكك الاجتماعي مظاهر ضعف الروابط الأسرية والاجتماعية التي قد يعاني منها المسنون في المجتمعات الحضرية نتيجة التغيرات البنيوية والقيمية (حجازي، 2005).

الشيخوخة والتكيف الاجتماعي في ضوء الشيخوخة النشطة والتحولات المعاصرة

التحول من الشيخوخة التقليدية إلى الشيخوخة النشطة

شهدت دراسات الشيخوخة خلال العقدين الأخيرين انتقالًا واضحًا من التصور الكلاسيكي الذي يربط التقدم في العمر بالانسحاب الاجتماعي والتدهور الوظيفي، إلى نموذج أكثر ديناميكية يُعرف بـ الشيخوخة النشطة. هذا التحول لا يُفهم بوصفه تطورًا مفاهيميًا فقط، بل كإعادة صياغة للعلاقة بين الفرد المسن والبنية الاجتماعية المحيطة به.

في هذا السياق، تؤكد دراسة علام (2025) أن الشيخوخة النشطة ليست حالة فردية، بل نتاج محددات اجتماعية وثقافية مركبة تشمل الثقافة السائدة تجاه كبار السن، ونمط العلاقات الأسرية، والبنية القيمية للمجتمع. هذا الطرح يفتح الباب لفهم الشيخوخة بوصفها "نتاجًا اجتماعيًا" وليس مجرد مسار بيولوجي. غير أن هذا التصور، رغم قوته التفسيرية، يبقى في كثير من الأدبيات العربية مثاليًا أكثر من كونه توصيفيًا، إذ يفترض قابلية عامة للمسنين على النشاط دون مراعاة التفاوتات الطبقية والريفية الحادة، وهي نقطة ستعود أهميتها عند ربط النموذج بالسياق الليبي.

يرتبط مفهوم الشيخوخة النشطة ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الإدماج الاجتماعي، حيث لا يمكن تحقيق النشاط في الشيخوخة دون درجة من الاندماج داخل الأسرة والمجتمع والمؤسسات. توضح رفاعي (2022) أن الإدماج الاجتماعي لكبار السن يمثل مدخلًا أساسيًا لتعزيز مشاركتهم وتقليل العزلة

الاجتماعية، من خلال إعادة بناء شبكات الدعم الاجتماعي وتمكين المسنين من المشاركة الرمزية والوظيفية داخل المجتمع.

اوتتوسع الأدبيات في إبراز دور الخدمة الاجتماعية كآلية لمواجهة مشكلات الشيخوخة. تشير صفوت (2020) إلى أن الخدمة الاجتماعية تلعب دورًا محوريًا في التعامل مع تحديات كبار السن، سواء على مستوى الدعم النفسي أو التدخل المجتمعي أو ربط المسن بالمؤسسات. كما تؤكد خليل (2020) على أن التدخل المهني للخدمة الاجتماعية يمكن أن يعزز قدرة المسنين على التكيف مع التغيرات الحياتية.

غير أن الإشكالية النقدية هنا تتمثل في أن هذه الأدبيات غالبًا ما تفترض وجود مؤسسات فعالة، بينما في الواقع الاجتماعي العربي عامة، والليبي خاصة، تعاني مؤسسات الرعاية من ضعف الاستمرارية ومحدودية الموارد.

وتضيف الدراسات الحديثة بُعدًا جديدًا يتمثل في تأثير التحول الرقمي على إدماج كبار السن. تشير خليل (2025) إلى أن التحول الرقمي يمكن أن يسهم في رفع الوعي باحتياجات المسنين عبر أدوات الاتصال الحديثة، وتعزيز الوصول إلى الخدمات. في السياق الليبي، تتضاعف هذه الإشكالية بسبب تفاوت الوصول إلى الإنترنت والفجوة بين الأجيال في استخدام التكنولوجيا، وبالتالي، فإن التحول الرقمي لا يمكن اعتباره عامل دمج مطلق، بل عاملًا مزدوج الأثر (إدماجي/إقصائي).

وتضيف دراسات علم النفس الاجتماعي للشيخوخة بعدًا مهمًا في فهم التكيف. يشير الوحيدي وبوسحلة (2023) إلى أن الشيخوخة في السياقات المعاصرة ترتبط بأزمات نفسية ناتجة عن التغيرات الاجتماعية المتسارعة، مثل فقدان الدور الاجتماعي وتراجع المكانة داخل الأسرة.

يمكن القول إن الشيخوخة في السياق الليبي لا تُفهم فقط بوصفها مرحلة عمرية، بل بوصفها نتاجًا لإعادة توزيع غير متكافئ للموارد الاجتماعية والمؤسسية والثقافية. ومن ثم، فإن التكيف الاجتماعي للمسنين يصبح عملية تفاوض مستمرة بين الفرد وبنية اجتماعية غير متجانسة.

الخصائص الديموغرافية للمسنين في المجمعات العربية والمجتمع الليبي.

تشير الأدبيات السوسيولوجية العربية إلى أن الشيخوخة عملية بيولوجية طبيعية ممتدة تبدأ ملامحها تدريجياً منذ منتصف العمر، ولا يمكن إيقافها، إلا أن آثارها يمكن التخفيف منها عبر الرعاية الصحية والاجتماعية والدعم الأسري والمؤسسي، بما يضمن ما يُعرف بـ"الشيخوخة النشطة" (عبيد، 2014، ص 112).

أما في السياق الليبي، فإن البيانات السكانية تشير إلى أن المجتمع الليبي يمر بمرحلة انتقال ديموغرافي تتسم بزيادة نسبية في فئة كبار السن، وإن كانت لا تزال أقل مقارنة بالفئات العمرية الشابة. وتشير بيانات مصلحة الإحصاء والتعداد إلى أن عدد المسنين الذين تبلغ أعمارهم 60 سنة فأكثر يقدَّر بمئات الآلاف، وهو ما يمثل نسبة محدودة من إجمالي السكان، إلا أنها في تزايد تدريجي مع تحسن الظروف الصحية (مصلحة الإحصاء والتعداد، 2024).

كما يُلاحظ أن التركيبة السكانية في ليبيا تتسم بارتفاع نسبة السكان في المناطق الحضرية مقارنة بالمناطق الريفية، وهو ما يعكس تحولات اجتماعية واقتصادية عميقة مرتبطة بظاهرة الهجرة الداخلية نحو المدن الكبرى مثل طرابلس وبنغازي، الأمر الذي أدى إلى تغير في أنماط الرعاية الأسرية للمسنين، حيث تراجعت أشكال التضامن التقليدي لصالح أنماط أكثر فردية (مصلحة الإحصاء والتعداد، 2024). وتلعب القيم الاجتماعية دوراً محورياً في تحديد مكانة المسن ومدى احترامه داخل المجتمع، خاصة في المجتمعات العربية التي لا تزال تحتفظ بدرجة من التقدير لكبار السن رغم التحولات الحديثة (حسن، 2016، ص 88).

لقد أظهرت دراسات عربية في علم اجتماع الشيخوخة أن التحول من البنية الريفية إلى الحضرية ساهم في إعادة تشكيل العلاقات الأسرية، حيث تقلصت الأسرة الممتدة لصالح الأسرة النووية، مما انعكس على طبيعة رعاية كبار السن، وأدى إلى ظهور تحديات اجتماعية جديدة تتعلق بالعزلة وضعف الدعم الأسري (العمر، 2021). (بركات، 2011، ص 203).

وطبقاً لتقديرات الأمم المتحدة كان يوجد بالعالم ما يقرب من 200 مليون نسمة من الذين بلغوا 60 سنة وأكثر في عام 1950م ازداد هذا العدد ليصل إلى 350 مليون عام 1975م، وسوف تزداد نسبة الذين تبلغ أعمارهم 65 عاماً وأكثر بمعدل أسرع من أولئك الذين تقل أعمارهم عن 60 سنة وهذا يعنى أن ترتفع النسبة المئوية لمسني العالم الذين تبلغ أعمارهم 65 فما فوق من 10 ٪ عام 2022م إلى 16 ٪ عام 2050م، وقد بلغ عدد المسنين عام 2019 م ممن تبلغ أعمارهم 60 سنة فما فوق إلى مليار مسن ومن المتوقع أن يرتفع العدد إلى 1.4 مليار بحلول عام 2030م (صندوق الأمم المتحدة للسكان، 2001، ص 26).

جدول رقم (1) يبين عدد المسنين من 60 سنة فأكثر مع بيان الجنس ونسبتهم من المجموع الكلي لعدد السكان في المجتمع الليبي وفق تقديرات 2024.

فئات العمر	عدد الذكور	عدد الإناث	المجموع	نسبة الذكور	نسبة الإناث
64-60	114.000	117.000	231.000	٪1.5	٪1.6
69-65	68.360	73.642	142.002	٪0.9	٪1.0
74-70	44.963	54.238	99.201	٪0.6	٪0.7
79-75	28.826	37.431	66.257	٪0.4	٪0.5
84-80	18.286	21.139	39.425	٪0.2	٪0.3
89-85	7.551	10.199	17.750	٪8.1	٪9.1
94-90	1.869	3.183	5.052	٪3.1	٪5.1

99-95	234	502	736	٪2.1	٪3.1
100 سنة فأكثر	14	34	48	٪0.1	٪0.1

المصدر (مصلحة الإحصاء والتعداد، 2024).

ويعتبر عدد المسنين حسب بيانات الجدول قليل مقارنة بإجمالي عداد السكان حيث بلغت نسبة من هم في سن 60 سنة فأكثر (10.6 ٪) من المجموع الكلي لسكان المجتمع الليبي. وكلما تقدم الإنسان بالعمر تقلصت حاجاته الشخصية من لباس ومتطلبات ترفيهية وأن أكثر ما يحتاج إليه هو أنه يعيش بين أفراد أسرته التي توسعت وامتدت فتزوج الأبناء والبنات وتعدد الأحفاد، وأن احترام المسن وتقديره ورعايته هي سمة الحياة من خلال غرس القيم والمفاهيم الإنسانية والتي يستقيها الأطفال من سلوك الكبار نحو المسن وخاصة في المجتمعات الريفية والقروية. (مصلحة الإحصاء والتعداد، 2024).

وبتقدم المجتمع وانتقاله من البداوة إلى الحضارة تزداد حركة الهجرة إلى المدينة وتغيير القيم ويزداد عدد سكان الحضر ويقل عدد سكان الريف ولكن تبقى القيم الاجتماعية ثابتة إلى حد ما وخصوصاً تجاه المسنين مع نقص عدد السكان، والجدول التالي يبين عدد سكان الريف والحضر في المجتمع الليبي خلال سنوات متتالية.

الجدول رقم (2) يبين عدد السكان المقيمين في الحضر والمقيمين في الريف بالمجتمع الليبي خلال السنوات 201920-21-2022.

السنوات	المقيمين في الحضر	المقيمين في الريف	المجموع
2019	5281087	1288001	6569088
2020	5369132	1284810	6653942
2021	5455170	1280107	6728942

2022	5538569	1273772	6812341

المصدر: (مصلحة الإحصاء والتعداد، 2024).

من خلال بيانات الجدول يتضح أن نسبة سكان الحضر أكبر بكثير من سكان الريف وخصوصاً خلال سنة 2019 حتى سنة 2022م، نتيجة للهجرة من الريف إلى المدن حيث وصل عدد سكان العاصمة طرابلس (2:220.000) وقد كان ذلك سبب في ظهور العدد من المشاكل الاجتماعية التي تحتاج إلى دراسات متخصصة وبالنظر إلى المسنين المقيمين في المدن الرئيسية مثل طرابلس و بنغازي فإن الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها هؤلاء مثقلة بالمشاكل الاجتماعية والنفسية والصحية والاقتصادية حسب استقراء الرأي العام خلال جمع بيانات البحث والاتصال بالخبراء والاطلاع على بعض التقارير.

يمثل المسنون في كل من الريف والحضر فئة اجتماعية تتأثر بطبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادي للبيئة التي يعيشون فيها، حيث يختلف وضعهم من حيث الدعم الأسري والخدمات الاجتماعية والصحية. ففي المجتمع الريفي، غالبًا ما يتمتع المسنون بمكانة اجتماعية بارزة داخل الأسرة الممتدة، مما يعزز من اندماجهم الاجتماعي ويقلل من شعورهم بالعزلة، رغم محدودية الخدمات الصحية مقارنة بالمناطق الحضرية (الخشاب، 2002؛ حجازي، 1999). كما أن طبيعة العلاقات التقليدية في الريف تسهم في استمرار دور المسن داخل الأسرة بوصفه مصدر خبرة وحكمة (بركات، 2011).

في المقابل، يشهد المجتمع الحضري تحولات بنيوية أدت إلى تراجع الأسرة الممتدة لصالح الأسرة النووية، مما انعكس على وضع المسنين وزيادة احتمالية تعرضهم للعزلة الاجتماعية أو ضعف التفاعل الأسري، رغم توفر خدمات الرعاية الصحية والمؤسسات الاجتماعية بشكل أكبر (حسن، 2016؛ عبد اللطيف، 2018). ويشير الأدب الاجتماعي إلى أن التحضر يرتبط بتغير في القيم وأنماط التضامن الاجتماعي، وهو ما يؤثر على مكانة المسن داخل البنية الأسرية (العمر، 2021؛ الجوهري، 2010).

وبذلك يتضح أن الاختلاف بين الريف والحضر لا يتعلق فقط بتوفر الخدمات، بل يمتد إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية والقيم السائدة، حيث يوفر الريف دعماً اجتماعياً تقليدياً أقوى، بينما يوفر الحضر خدمات مؤسسية أكبر لكن بروابط اجتماعية أضعف في بعض الحالات (السبيعي وآخرون، 2017).

ثالثا: الإجراءات المنهجية للدراسة

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية التحليلية التي تهدف إلى تحليل أوضاع المسنين في المجتمع الليبي في ضوء التحولات الاجتماعية المعاصرة، والكشف عن طبيعة الفروق الاجتماعية بين المسنين المقيمين في البيئتين الريفية والحضرية، خاصة فيما يتعلق بأنماط التفاعل الاجتماعي، ومستوى الدعم الأسري، والرضا عن الحياة، وآليات التكيف الاجتماعي. وقد اعتمدت الدراسة على منهج المسح الاجتماعي بالعينة، باعتباره من المناهج الملائمة لدراسة الظواهر الاجتماعية ميدانيًا، لما يوفره من إمكانية جمع البيانات بصورة مباشرة من أفراد العينة وتحليلها في ضوء أهداف الدراسة وتساؤلاتها. كما استعان الباحث بالمنهج المقارن بهدف إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين المسنين في البيئتين الريفية والحضرية، وتحليل أثر البيئة الاجتماعية في تشكيل أوضاعهم الاجتماعية وأنماط حياتهم اليومية.

وقد تمثّل مجتمع الدراسة في المسنين المقيمين في البيئة الحضرية والبيئة الريفية داخل المجتمع الليبي ممن تتراوح أعمارهم بين (70–80) سنة، ويعيشون داخل أسرهم بصورة مستقرة. واختار الباحث منطقة أحمد الشريف بمدينة طرابلس باعتبارها نموذجًا للبيئة الحضرية التي تتسم بالكثافة السكانية والتنوع المهني وضعف العلاقات التقليدية مقارنة بالمجتمع الريفي، في حين تم اختيار منطقة بئر الجلدة والمناطق المجاورة لها بوصفها نموذجًا للبيئة الريفية التي لا تزال تحتفظ بدرجة من التماسك الاجتماعي والعلاقات الأسرية التقليدية.

واعتمدت الدراسة على العينة العمدية، حيث تم اختيار أفراد العينة وفق مجموعة من المعايير المرتبطة بطبيعة الدراسة وأهدافها. وقد بلغ حجم العينة (100) مفردة من المسنين الذكور، تم توزيعهم بالتساوي بين البيئتين الريفية والحضرية بواقع (50) مسنًا من كل بيئة. وراعى الباحث عند اختيار العينة أن يكون المبحوثون من المقيمين بصورة دائمة داخل البيئة محل الدراسة، وأن يكونوا قادرين على التواصل

والإجابة عن أسئلة الدراسة، مع استبعاد الحالات التي تعاني من اضطرابات عقلية أو صحية حادة قد تؤثر في دقة الاستجابة.

واعتمد الباحث في جمع البيانات على أكثر من أداة ميدانية بهدف الوصول إلى قدر أكبر من الدقة والموضوعية في فهم الظاهرة المدروسة، حيث تم استخدام المقابلة المقننة من خلال استمارة تضمنت مجموعة من الأسئلة المرتبطة بمحاور الدراسة، شملت طبيعة العلاقات الأسرية، ومستوى التفاعل الاجتماعي، والدعم الاجتماعي، والوضع الاقتصادي والصحي، وكيفية قضاء وقت الفراغ، ومستوى الرضا عن الحياة. كما استعان الباحث بالملاحظة المباشرة أثناء الزيارات الميدانية لرصد طبيعة العلاقات الاجتماعية والتفاعل اليومي للمسنين داخل البيئتين الريفية والحضرية، بالإضافة إلى الاستفادة من آراء بعض المختصين والمهتمين بقضايا المسنين والخدمة الاجتماعية بهدف دعم تفسير النتائج وتحليلها.

وشملت الدراسة ثلاثة مجالات رئيسية، تمثلت في المجال المكاني الذي اقتصر على منطقتي أحمد الشريف بمدينة طرابلس وبئر الجلدة بوصفهما نموذجين للبيئة الحضرية والريفية، والمجال البشري الذي اقتصر على المسنين الذكور ممن تتراوح أعمارهم بين (70–80) سنة، والمجال الزمني الذي استغرق مدة ستة أشهر شملت الدراسة الاستطلاعية وجمع البيانات الميدانية وإجراء المقابلات مع أفراد العينة.

وقد حرص الباحث على تحقيق الصدق الظاهري لأداة الدراسة من خلال عرضها على عدد من المتخصصين في علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية للتأكد من ملاءمة الأسئلة لأهداف الدراسة ووضوحها، كما تم إجراء تطبيق أولي للأداة على عدد محدود من المبحوثين قبل التطبيق النهائي بهدف اختبار وضوح الأسئلة وإمكانية الإجابة عنها.

واعتمد الباحث في تحليل البيانات على أسلوب التحليل الوصفي المقارن، من خلال تصنيف البيانات وفق محاور الدراسة، واستخراج التكرارات والنسب المئوية، ثم المقارنة بين استجابات المسنين في البيئتين الريفية والحضرية، مع تفسير النتائج في ضوء الأطر النظرية والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

وتتمثل حدود الدراسة في اقتصارها على المسنين الذكور دون الإناث، واعتمادها على عينة عمدية محدودة العدد، بالإضافة إلى تركيزها على منطقتين فقط تمثلان البيئة الريفية والحضرية، فضلًا عن تركيز الدراسة على الجوانب الاجتماعية دون التوسع في الجوانب الطبية أو النفسية المتخصصة.

رابعا: نتائج الدراسة

تشير نتائج الدراسة إلى أن أوضاع المسنين في المجتمع الليبي تعكس تداخلاً بين عدة تفسيرات نظرية، حيث تؤكد نظرية التحديث أن التحولات الحضرية ساهمت في تراجع مكانة المسن، بينما تبرز نظرية الدور الاجتماعي في تفسير فقدان الأدوار بعد التقاعد. وفي المقابل، توضح نظرية الاستمرارية قدرة المسنين في البيئات الريفية على الحفاظ على اندماجهم الاجتماعي، في حين تعكس نظرية التفكك الاجتماعي مظاهر العزلة التي يعاني منها بعض المسنين في المدن. وتؤكد نتائج هذا البحث أن ظاهرة الشيخوخة في المجتمع الليبي لا يمكن تفسيرها من خلال بعد واحد، بل تتطلب توظيفاً تكاملياً لعدة نظريات اجتماعية، من بينها نظرية التحديث، ونظرية الدور الاجتماعي، ونظرية الاستمرارية، ونظرية التفكك الاجتماعي، وهو ما يعكس الطبيعة المركبة للتحولات الاجتماعية وتأثيرها على أوضاع المسنين.

أولاً: من حيث الوضع الاجتماعي الذي يعيشه المسنين في المجموعتين.

1- تبين من خلال تحليل بيانات الدراسة أن أوضاع المسنين في البيئة الريفية قد تأثرت بهجرة الأبناء إلى المدن بحثاً عن العمل أو للدراسة طلبا للتخصص أو السفر إلى الخارج عكس البيئة الحضرية.
2- تبين من خلال تحليل بيانات الدراسة أن نسبة 7٪ من المسنين المقيمين في البيئة الريفية متزوجين من امرأتان مقابل 0٪ في المجتمع الحضري.
3- تبين أن نسبة 85٪ من المسنين المقيمين في بيئة ريفية تزوجوا بعد موت زوجاتهم مقابل 5٪ من المسنين المقيمين في بيئة حضرية.
4- تبين أن 75 ٪ من الخدمات العائلية مثل إيصال الأسرة إلى المناسبات أو شراء المتطلبات اليومية أو صيانة بعض الأجهزة المنزلية يقوم بها الأبناء نيابة عن المسنين في المجتمع الحضري مقابل 50٪ في المجتمع الريفي.

5- إخفاق المسنين في الإبقاء على علاقاتهم الاجتماعية وارتباطهم ببيئتهم الاجتماعية وأن أسباب هذا الإخفاق يكمن في البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها المسنين في المجتمع الحضري خاصة بعد التقاعد لفقد الاتصال اليومي بزملاء العمل.

ثانيًا: حيث الوضع الاقتصادي الذي يعيشه المسنين في المجموعتين:

1- تبين من خلال بيانات الدراسة ان المسنين المقيمين في البيئة الحضرية لديهم معاناة اقتصادية نتيجة كثرة المتطلبات الغير ضرورية وغلاء الأسعار عكس المجتمع الريفي لتعدد مصادر الدخل والاعتماد على الأبناء.

2- شعور المسنين المقيمين في المجتمع الحضري بالظلم من شمول التقاعد لهم بعد أكثر من 30 سنة عمل بمرتب لا يسد الحياة اليومية ذلك لعدم شمولهم لقرار زيادة المرتبات.

3- تبين من خلال تحليل بيانات الدراسة أن المسنين المقيمين في البيئة الحضرية غير راضين للتكاليف الباهظة في المناسبات الاجتماعية وخاصة زواج البنات عكس المجتمع الريفي حيث يتم التعاون من الأقارب وتوفير الضروريات فقط دون إسراف.

ثالثاً: الوضع الصحي الذي يعيشه المسنين في المجتمعين:

1- تبين من خلال تحليل بيانات الدراسة أن المسنين المقيمين في بيئة ريفية صحتهم أفضل فهم لا يشكون من أمراض مزمنة ويعتمدون في علاجهم على الطب الشعبي عكس المسنين المقيمين في البيئة الحضرية نسبة 10٪ منهم مصابون بمرض السكر و8 ٪ منهم يعانون من امراض ضغط الدم بالإضافة إلى نقص الحواس وخاصة البصر.

2- تبين من خلال تحليل بيانات الدراسة أن نسبة 80٪ من المسنين المقيمين في البيئة الريفية لا يذهبون إلى العيادات الطبية والمستشفيات إلا عند الضرورة القصوى عكس المسنين المقيمين في البيئة الحضرية بنسبة 60٪ منهم يقومون بكشوفات دورية أسبوعية أو شهرية.

رابعًا كيفية قضاء وقت الفراغ عند المسنين في المجموعتين:

1- تبين من خلال تحليل بيانات الدراسة أن المسنين المقيمين في بيئة حضرية بنسبة 15 ٪ يفضلون ممارسة الرياضة والجلوس في المقاهي، 40 ٪ يفضلون المكوث في البيت أو البقاء في المسجد، 20٪ يفضلون زيارة الأقارب أو النوم وأن نسبة 25٪ يفضلون استعمال وسائل التواصل الاجتماعي أو المطالعة أو مشاهدة التلفاز.

2- تبين من خلال تحليل بيانات الدراسة أن المسنين المقيمين في البيئة الريفية بنسبة 40٪ لا يفضلون الاهتمام بالزراعة مثل الري أو تقليم الأشجار أو جمع المحصول أو الغرس وذلك حسب الموسم المناسب وأن نسبة 25٪ يفضلون الاهتمام بالمواشي كالعناية بالأكل والشرب والعلاج والجز والذهاب إلى الأسواق لغرض البيع أو الشراء وخاصة الأغنام والماعز، وأن نسبة ٪25 يفضلون الذهاب إلى المناسبات الاجتماعية والاهتمام بالخيول والجلوس في أماكن السهر لشرب الشاهي ولعب الورق.

خامسا: خاتمة البحث والتوصيات

في ختام هذا البحث، يتضح أن الموضوع الذي تم تناوله لا يمكن فهمه بمعزل عن السياق الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي يحيط به، إذ تتداخل العوامل البنيوية مع المتغيرات الحديثة لتشكّل واقعًا معقدًا يستدعي قراءة تحليلية متعمقة. وقد أظهرت المعالجة النظرية وما تم عرضه من أفكار ونقاشات أن الظاهرة المدروسة ليست ثابتة، بل ديناميكية ومتغيرة، تتأثر بجملة من التحولات المتسارعة التي يشهدها المجتمع المعاصر.

كما بيّن البحث أهمية الاستناد إلى الأطر النظرية في تفسير الظواهر الاجتماعية، مع ضرورة ربطها بالواقع المحلي، خاصة في المجتمع الليبي الذي يمتاز بخصوصيات ثقافية وتاريخية تستوجب مقاربات تحليلية دقيقة. ومن خلال ذلك، يتضح أن فهم هذه الظواهر يسهم في تقديم رؤى علمية يمكن أن تدعم صناع القرار والباحثين في وضع سياسات أكثر فاعلية واستجابة للتحديات القائمة.

وعليه، فإن هذا البحث يفتح المجال أمام دراسات لاحقة أكثر عمقًا وتخصصًا، تدعم ما تم التوصل إليه وتعمل على استكشاف أبعاد جديدة للموضوع، بما يسهم في إثراء المعرفة العلمية وتعزيز الفهم الواقعي للقضايا الاجتماعية المطروحة.

توصيات ومقترحات الدراسة:

من خلال الاتصال المباشر بالمسنين وتبادل الحديث والحوار اليومي مع المجموعة الأولى المقيمين في البيئة الحضرية واللقاء الأسبوعي وفي كل المناسبات مع المجموعة الثانية من المسنين المقيمين في البيئة الريفية وتبادل الحديث والحوار لأكثر من ستة أشهر خلال الدراسة الاستطلاعية وجمع البيانات عن طريق المقابلة المقننة والملاحظة المباشرة نوصي ويقترح الآتي:

1- تخصيص أقسام بالمستشفيات العامة خاصة بالمسنين سواء لتقديم الخدمات العلاجية اليومية أو النزلاء الذين تتطلب حالتهم الصحية البقاء بالمشافي.
2- توفير الأدوية الخاصة بالأمراض المزمنة للمسنين وتقديمها بأيسر الطرق وبدون مقابل.
3- إجراء الكشوفات الصحية الدورية للمسنين كل ثلاثة أشهر عن طريق الطبيب الزائر وكلما تطلبت الحاجة بتوفير أرقام هواتف مجانية لطلب المساعدة العلاجية خلال 24 ساعة.
4- إنشاء أقسام طب الشيخوخة في جميع كليات الطب البشرى بالجامعات الليبية مع إضافة مقررات دراسية لطلبة الطب البشري خاصة بأمراض الشيخوخة وكيفية التعامل مع المسنين.
5- إقامة دورات تدريبية للأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين لتأهيلهم بكيفية التعامل مع المسنين.
6- إنشاء نوادي وحدائق ومنتزهات خاصة بالمسنين بأقل الإمكانيات بحيث تكون وفق أحدث الطرق الإنشائية والصحية التي تخدم هذه الفئة.
7- إعادة النظر في قانون التقاعد فهناك نسبة كبيرة من المسنين شملهم التقاعد بالسن قبل صدور قرار زيادة المرتبات البعض منهم عمل بالدولة لأكثر من 30 سنة.

8- إعادة النظر في القوانين الخاصة بالتأمين الصحي للمسنين خاصة وأن أغلب الفلاحين ومربي المواشي في الريف غير مشمولين في أنظمة الضمان الاجتماعي.

9- تخفيض رسوم الكهرباء والضرائب والرحلات الجوية وغيرها من الرسوم المقررة من الدولة إلى النصف لكافة المسنين.

10- اعتبار المسنين خبراء ومستشارين في كافة المجالات لما لهم من خبرة وتجربة في الحياة العملية.

11- العمل على إقامة ندوات وورش عمل من أجل تواصل الأجيال مع المسنين بكل الفئات العمرية بالمجتمع.

12- يمكن لطلاب الدراسات العليا المتخصصين في العلوم الاجتماعية تبنى هذا الموضوع ودراسته على نطاق أوسع وأشمل من حيث عينة الدراسة والبيئة الجغرافية.

قائمة المراجع

1. بركات، حليم. (2011). المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغيير الأحوال والعلاقات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
2. الجدعان. عبد الله بن ناصر (1998). رعاية المسنين في الإسلام. الرياض: دار العبيكان.
3. الجوهري، محمد. (2010). مدخل إلى علم الاجتماع. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
4. حجازي، عزت (1999). المسنون في الريف المصري. القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
5. حجازي، مصطفى. (2005). التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت: المركز الثقافي العربي.
6. الخشاب، محمود. (2002). علم الاجتماع العائلي. القاهرة: دار النهضة العربية.
7. خليل، شذى حمد عبد الله. (2025). إسهامات خدمة الجماعة في تنمية الوعي المجتمعي باحتياجات كبار السن في ضوء التحول الرقمي. مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، 49. https://doi.org/10.55074/hesj.vi49.1562

8. دعبس. محمد يسري (1991). أوضاع المسنين في الثقافات المختلفة. الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة.
9. رشوان. حسين عبد الحميد (1995). العلم والبحث العلمي. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
10. رفاعي، عبير محمد عباس. (2022). الإدماج الاجتماعي لكبار السن كمدخل لتفعيل الشيخوخة النشطة. مجلة كلية الآداب – جامعة بورسعيد، 20(20)، 1–93 . https://doi.org/10.21608/jfpsu.2022.119876.1159
11. السبيعي، عبد الله؛ العتيبي، محمد؛ الزهراني، خالد. (2017). الصحة العامة وكبار السن في المجتمعات العربية. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
12. سليمان. نجاة محمد (2008). بعض مظاهر التغير في البناء الأسري. (رسالة ماجستير غير منشورة).
13. السيد. حسن، (2016). علم الاجتماع السكاني. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
14. صفوت، مروة. (2020). دور الخدمة الاجتماعية في مواجهة مشكلات الشيخوخة لدى المسنين. مجلة كلية الآداب – جامعة الفيوم، 12(2)، 1970–2003. https://doi.org/10.21608/jfafu.2020.41761.1134
15. صندوق الأمم المتحدة للسكان. (2001). حالة سكان العالم: السكان والتغير البيئي.
16. صندوق الأمم المتحدة للسكان. (2019). تقرير حالة سكان العالم. نيويورك: الأمم المتحدة.
17. ضو. خالد علي (2010). القاموس البسيط لعلم الاجتماع. طرابلس.
18. عبد اللطيف، أحمد. (2018). الرعاية الاجتماعية للمسنين: دراسة في علم الاجتماع التطبيقي. القاهرة: دار الجامعة الجديدة.
19. عبدالعال، محمود محمد رياض. (2025). علم اجتماع المسنين: تحولات الشيخوخة في السياق الاجتماعي. القاهرة: دار الفكر العربي.

20. عبيد، عبير عباس (2014). في علم اجتماع الشيخوخة: أنماط التفاعل وأوجه الحياة للجماعات العمرية المتقدمة. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
21. علام، فيروز إيهاب سالم. (2025). المحددات الاجتماعية والثقافية للشيخوخة النشطة: قراءة نقدية للدراسات السابقة. مجلة وادي النيل للدراسات الإنسانية والاجتماعية والتربوية، 48(48)، 1087–1134. https://doi.org/10.21608/jwadi.2025.420886.1244
22. العمر، معن خليل. (2021). علم اجتماع الشيخوخة والموت. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
23. مصلحة الإحصاء والتعداد (ليبيا). (2024). التقديرات السكانية والتوزيع العمري للسكان في ليبيا. طرابلس: ليبيا
24. الهديف، مفتاح ميلاد. (2017). بعض مشكلات الشيخوخة بمنطقة الخمس. مجلة التربوي.
25. الوحيدي، عمار؛ بوسحلة، حنان. (2023). سيكولوجية الشيخوخة وأزمات كبار السن في ظل متغيرات العصر. مجلة القبس للدراسات النفسية والاجتماعية، 5(3)، 10–24. https://doi.org/10.21608/ssj.2023.344703